وصنف عليه ابن الاثير ان مقدار المبلغ الذى اخذه يعقوب من قلعة ابن واصل اربعين
مليون درهم والمظنون ان هذه مبالغات مهما كان من الاموال التى جمعها محمد بن واصل
من طول احتيازاته وحروبه وكان عاصيا ايضا مثل يعقوب ونهبه فى المملكة مدة طويلة
هزم يعقوب جيش ابن واصل وصلبه ثم انه بسبب ما كان متمكنا فى عقله من اعتماده على
اجراته انه سيكون فى ظرف مدة قليلة سيدا آسيا وسلطانها زحف يعقوب فى رأس جيش
مهول العدد والعدة نحو بغداد ووقع بينه وبين الخليفة الموفق واقعة انهزم فيها ورحل عنها
ثم فاجاه الموت ومات فى معسكره بداء القولنج تاسع شهر شوال سنة ٢٦٥ من الهجرة بجندي
بجنديسابور من كور الاهواز وامره الاطبا بالاحتقان بالدواء فلم يفعل واختار الموت
وكان المعتمد قد انفذ اليه رسولا وكتابا يستميله ويترضاه ويقلده اعمال فارس فوصل
الرسول ويعقوب مريض فجلس له وجعل عنده سيفا ورغيفا من الخبز الخشكار ومعه بصل
واحضر الرسول فادى الرسالة فقال له قل للخليفة اننى عليل فان مت فقد استرحت منك
واسترحت منى وان عوفيت فليس بينى وبينك الا هذا السيف حتى اخذ بثارى او تكسرنى
وتفقرنى واعود الى هذا الخبز والبصل واعاد الرسول فلم يلبث يعقوب ان مات ولما
قام بالامر بعده اخوه عمرو بن الليث وكتب الى الخليفة بطاعته فولاه الموفق خراسان
وفارس واصبهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد واشهد بذلك وسيره اليه
مع الخلع وما كان عمرو تحت مطامع لا نهاية لها ولا صاحب حزم وجراة وفيه شئ من اخيه
فمن ثم دخل تحت طاعة الخليفة وعهد عليه المملكة الواسعة وجعلها وراثية فى عائلته ثم ان عمرو
جار فى احكامه وحصل لاهل خراسان مضايقة شديدة من جوره وكانوا اهل غيرة فلم
يستسلموا نحو الخليفة وعمرو بن الليث فدعوا الشجاع اسماعيل ال سامانى وكان جعل نفسه
مستقلا فيما وراء النهر لعبوره نهر جيحون وهجومه على عمرو بن الليث ويأخذ
خراسان مكافاة على انقيادهم فاستحصل اسماعيل ال سامانى على امر الخليفة وعبر نهر
جيحون فى راس عشرة الاف خيال وهجم بهذه القوة القليلة على جيش الصفار وكان
مؤلفا من ثمانين الف مقاتل واسر عمرو بن الليث وارسله مقيدا فى السلاسل والاغلال
لاعتاب تخت الخلافة ومع هذا فان عائلة الصفار ما انقرضت جميعها بل بقوا فى
وكرم فضل من اسماعيل ال سامانى ورضا من الخليفة استمرت هذه العائلة عدة سنين
متسلطنة فى سجستان مع العز والابهة فى سلطنتهم الوراثية والاقاليم المجاورة لها
ولا حاجة فى هذا المحل لذكر ما كانوا عليه من جراة الاعمال لان المقصود هنا هو فقط
قيام شوكة هذه العائلة وانطفاها بما ان ذلك باب يدخل منه لبعض حكايات
مخصوصة بالعائلات السامانية والغزنوية فى تلك الجهة وكانت كلما انقدحت شوكة
الخلفا فى الضعف والوهن زادت شوكة حكام الاقاليم البعيدة عن تخت الخلافة ومن
بعد موت الخليفة الراضى فى سنة ٣٢٩ من الهجرة الموافقة ٩٤٠ بعد الميلاد وكان
هو الخليفة الخامس عشر من خلفا بنى العباس نشأ ما كان حاصلا من الارتجاجات والقلقة
فى المملكة وصارت حكومة الخلفا خيالا وهميا تابعين فى اقسامهم لسيادتهم الاتراك الذين
كانوا جلبوهم حفايا عرايا وربوهم واعزوهم لنايلات المناصب ووزراهم وقوادهم
وبسبب ما وقع بين هولا من الشقاق والحروب فى شان علو الشوكة ومناصب السعادة
فى ذلك الوقت حصلت الزعزعة والتشنج فى اعصاب هذه المملكة وانفصل منها سوريا
ومصر تحت سلطنة العائلات الملوكية الطولونية والاخشيدية الذين تاريخهم فى
ذلك العصر شكل اجماعا كبيرة من التسجيلات والتدوينات السنوية فى الاسلام وقامت
سيوف بنى بويه التى لا تشهر وكانوا ثلاثة اخوان فرسان اسسوا العائلة
المشهورة المعروفة عائلة بنى بويه واحكموا لاقسامهم عموم فارس ما عدا خراسان
وكان هذا الاقليم وما وراء النهر تحت حوزة العائلة السامانية حاليا فى الارتجاج
والتبك والقلقلة ومن ثم ما حصلت حروب بين اسماعيل ال سامانى واولاد بويه
وكان واحد من هولا الثلاثة اخوان شيد مركز حكومته ودولته فى مدينة شيراز
فى فارسيستان او فارس والاثنان الاخران فى اصبهان فى الاقاليم الجبلية او
فارطيا القديمة وكانت اشتغال اسماعيل ال سامانى من الحزم والعقل الا انه فتح ميدان
فتوح جديد ووجه عينه وجيشه نحو الاقاليم الممتدة بين حدود خراسان والهند
وكانت جيوشه فى مظفرات عظيمة فى حروبها وفى ظرف مدة قليلة اتسعت مملكته ودخل
فيها قندهار وزابلستان وفى وجه الاحتمال يقال ان غزنة كانت عاصمتها ودخل فيها

ودخل فيها ايضا كابل او قابول وعموم السلسلة الجبلية المسكونة بالقبايل المتوحشة الحربية
الافغانية وكان مركز ومقر العائلة الملوكية السامانية فى مدينة بخارا وكانت فى غاية
من الاحترام بسبب ما كانت عليه من حزم السياسة فى تدبير اعمالها والعقل والاشتغال
بالعدل وحسن سير الاعمال وكانت هذه العائلة متمتعة بالراحة العمومية فى ممالكها التى
استحوذوا عليها قديما وجديدا واستمرت دولتهم قايمة مدة تسعين سنة وفى ظرف هذه
المدة تولد من جلوس الصفار من هذه العائلة على تخت سلطنتهم فتن واضطرابات داخلية
انتهت بقسمة هذه المملكة الشاسعة فاما البتكين او ابستاجى حاكم خراسان من طرف
العائلة السامانية وكان من اشراف الناس وعلى شهرة كبيرة وقريحة وقادة فى الاعمال
العسكرية فانه غضب من قبح سير الملك منصور الملك الشاب المتسلطن من العائلة السامانية
الجالس على كرسى ما وراء النهر وقبض على خراسان وزابلستان وهزم القوى والعساكر
الذى ارسلها ضده منصور لاجل اخراجه من خراسان وامر بتتويج نفسه فى غزنة عاصمة
زابلستان فى السنة التالية وتسلطن خمسة عشرة سنة فى مملكته التى سلبها واستحوذ عليها من
دون حصول ادنى ارتباك ومن بعد موته اخذت العائلة السامانية تطالبها وكررت مرارا
واصرت انها هى الاحق وعودة المملكة من ابنه ابى اسحاق واخيرا عقدت شروط صلح وقع الا
الاتفاق عنه عجز البيت السامانى من بعد طرد الجيوش السامانية المرار العديدة بواسطة البطل الشجاع
الفارس سبكتكين قايد جيوش ابو اسحاق بن البتكين وقررت السامانية استقلالية المملكة
ومن بعد موت ابو اسحاق فى سنة ٣٦٥ من الهجرة الموافقة لسنة ٩٧٧ بعد الميلاد جلس
سبكتكين على تخت هذه المملكة وكان سبكتكين هذا قدم فى الاصل الى بخارا ايام الامير
منصور بن نوح مع ابى اسحاق فعرفه ارباب تلك الدولة بالعقل والعفة وجودة الراى والصرامة
وعاد معه الى غزنة فلم يلبث ابو اسحاق ان توفى ولم يخلف من اهله واقاربه من يصلح للتقدم
فاجتمع عسكره ونظروا فيمن يلى امرهم ويجمع كلمتهم فاختلفوا ثم اجتمعوا على سبكتكين لما
عرفوه من عقله ودينه ومروءته وكمال خلال الخير فيه فقدموه عليهم وولوه امرهم وحلفوا
له واطاعوه فوليهم واحسن السيرة فيهم وساس امورهم سياسة حسنة وجعل نفسه كاحدهم
فى الحال والمال قال ابن الاثير وكان يدخر من اقطاعه ما يعمل منه طعاما لهم فى كل اسبوع
مرتين وذكر ابن الاثير هذه الحكاية فى سنة ٣٦٦ من الهجرة وقيل ان سبكتكين كان
تاتارى المولد وعسكرى سعيد الطالع واستخدم فى اول خدماته فى عسكر خيالة الوار عون
فى جيش استاذه وتزوج البتكين ابنة سبكتكين لاجل تقوية نفسه على التخت ومن
بعد جلوس سبكتكين على التخت بقليل فتح ابواب حركات الحروب لارباب الهياج و
الشغب الافغانيين اهل الكر والحروب وكانوا استكلوا اقساما عظيما من عساكره
وابتدا سبكتكين فى اعماله بالجنة العادية فى الدين وهى هياج حرب حدد على عبدة
الاوثان والاصنام فى الهند والتقى فى غارته هذه بتخريب ونهب الثغور الهندية
وعاد محملا باثقال الغنايم والاسلاب الى غزنة والظاهر انه من بعد هذه الحالة التى
حاز فيها هذه الغنايم استعمل انواع طرق جديدة فى السعى على مثلها وكان جيبال هو
الملك المتسلطن فى ذلك الوقت فى لاهور وكان اقليم لاهور ممتدا فى الطول من فم
نهر السند الى حد لمغان وفى العرض من مملكة كشمير الى مولتان وتضرر جيبال
الملك تضررا شديدا من هذه الغارة والغارات الاخرى التى حصلت من خطا فى السلطين
وصار على دراية تامة من هيئة الحروب الجارية من طرف ملك غزنة وخاف من حصول
هذه الغارات وتكرارها فعول على اجراء المدافعة عن بلاده على التدريج وجمع جيشا
ضخما وعزم على هياج الحرب على بلاد المحارب لبلاده والتقى سبكتكين مع جيبال
ملك الهند على اطراف حدود مملكته واستعد الجيشان لانتشاب الحرب فحصل فى الليلة
السابقة ليوم الحرب قيام زوبعة او عاصفة شديدة فنسبها مورخو الهنود الى تاثير
من السحر وكانت هذه العاصفة مخلطة برعد وبرق وبرد وريح شديد فتلفت
منها الخيول والركايب فوق ارض السهل وتولد منها التلف الاكبر فى معسكر جيبال على
الخصوص حتى انه التزم على ربط علاقات صلحية ويدفع خراجا معلوما سنويا وهدية
جليلة من الذهب والفيلة فرفض سبكتكين فى الابتدا قبول الصلح وما عرضه عليه
جيبال فمن ثم وقع فى معسكر الهنود الفزع العام وكانت فرقة خيالة المعسكر الهندى
هلكت فى العاصفة وظهر على وجوه الهنود الحزن والكآبة والخوف ووهن امرهم
فى انتشاب الحرب وما كان سبكتكين نفسه على رغبة من منحهم الصلح على حسب ما عرضه عليه

Copyright © King Saud University